تحقيق لغوي

في مادة (تلمذ)

بقلم عبد العموم محمد شاهين

لعلَّ كلمة « تلميذ » من أكثر الكلمات دوراناً في دور العلم ومعاهد الدراسة، وهي من الكلمات التاريخية التي دخلت في أطوار مختلفة من الدلالة حتى استقرت الآن في معنى طالب العلم . بيد أن تأصيل هذه الكلمة وبيان مشتقاتها وجموعها يحتاج إلى توضيح وتوقيف . وقد كنت قديماً عزمت أن أكتب فيها تحقيقاً شاملاً ، ولكني وجدت رسالة البغدادي في هذا التحقيق من أوفى ما كتب في هذه الناحية ، فآثرت أن أجعلها تحفة للأدباء من قراء « المقتطف » تعميماً عن التطلع إلى ما وراءها .

والبغدادي هو عبد القادر بن عمر البغدادي ، صاحب خزانة الأدب ، المولود في بغداد سنة ١٠٣٠ والمتوفى بمصر سنة ١٠٩٣

ورسالته تلك التي ننشرها ، منها نسخة بالخزانة التيمورية ، وثلاث أخرى بخزانة دار الكتب المصرية ، إحداها برقم ٦ مجاميع ش والثانية برقم ١٨١ مجاميع ، والثالثة برقم ١٢٢ مجاميع . وقد قابلت النسخ الثلاث الأخيرة بعضها ببعض ، ورمزت إليها بالرموز أ ، ب ، حـ على ترتيبها . وأصح هذه النسخ وأكملها نسخة ب . وكل ما أثبته بين علامتي الزيادة فهو منها .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

[أما بعد] فهذه كلمات ذكرتها لمعنى التلميذ ، فإني لم أجد هذه الكلمة مذكورة في كتب اللغة المتداولة ، المدوَّنة [لبيان] الجليل والحقير ، وذكر النقير والقِطْمير ، كالجمهرة لابن دريد ، والصحاح للجوهري ، والمحكم لابن سيده ، والعباب للصاغاني ، والقاموس

لمجد الدين الفيروزابادي ، وغيرها ، إلاّ في لسان العرب لابن مكرم ، فإنه أورده في مادة (تلمذ) وقال : « التلاميذ الخدم والأتباع ، وأحدهم التلميذ » مع أنها كلمة متداولة بين العام والخاص . وكثيرة الاستعمال في تآليف العلماء الأعلام .

وكان الباعث لهذا أني لما قرأت كتاب منتهى الطيب ، ووصلت إلى قوله في الباب الخامس «حكى لي أن بعض مشايخ الإقراء أعرب لتلميذ له بيت الفصل » [1] رأيت شارحه الفاضل إبراهيم بن اللاّ الحلبي [2] قال : « التلميذ القارئ على الشيخ . ولم أقف عليه في شيء من كتب اللغة المتداولة كالصحاح والقاموس وغيرهما » . اهـ

فينئذ تلبعت بطون الدفاتر ، من مصنفات الأوائل والأواخر ، حتى رأيته في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، فإنه ساق [3] فيه شعراً للبيد بن ربيعة العامري الصحابي ، وفيه هذا البيت :

فالماء يجلو متونهنّ كما يجلو التلاميذ لؤلؤاً قشبا [4]

وقال بعد إنشاد الأبيات : « التلاميذ غلمان الصنّاع . والقَشِب والقشيب الجديد . والجمع القُشُب »

ورأيته أيضاً في شعر أمية بن أبي الصلت ، وهو شاعر أدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم ولم يوفق للإيمان به . وغالب شعره في الوعظ وتذكير الآخرة وقصص الأنبياء ، وهو مما لا يكاد يقضي العجب منه . قال في قصيدة :

والأرض معقلنا وكانت أمّنا فيها مقامتنا وفيها نولدُ
وبها تلاميذ على فتراتها حبسوا قياماً كالقرائص تُرعَدُ [5]

قال شارح ديوانه : « التلاميذ الخدم ، يعني الملائكة » .

وقال أيضاً في قصيدة أخرى

صاغ السماء فلم يخفض مراصعها لم يفتقص حلَق جوف ولا هرمُ
لا كشّفت مرة عنا ولا بلبت فيها تلاميذ في أقفائهم دعمُ

---

(١) الفصل المختص في النحو . انظر شرح ابن يعيش (٢ : ٩٤) . والبيت هو :

لا يبعد الله الثلاثين والمئا وإن أتى قال الخميس : نعم

(٢) هو إبراهيم بن اللاّ محمد الحلبي المتوفى سنة ٩٧٩ ، ذكره في كشف الظنون . وفي ا ، حـ : «حلي» ووضع : « الحلي » تحريف .

(٣) ا ، حـ : « ساق » والصواب في ب .

(٤) البيت في ديوانه ص ١٤١ بشرح الطوسي . وفيه : « التلاميذ غلمان الصاغة ... التلاميذ فارسي » .

(٥) القرائص : جمع قرصة ، بالضم ، وهي الناقة .

وقال شارحه هنا أيضاً كذلك .

ورأيت في المقامة الأولى من المقامات الحريرية قوله : « فوجدته محاذياً لتلميذ ، على خبز حميذ ، وجدي حنيذ ، وقهوتهما خابية نبيذ [1] » . قال شارحه الشريشي : « التلميذ متعلم الصنعة ، والتلميذ الخادم ، والجميع التلاميذ » . وأنشد بيت لبيد المتقدم ، ثم قال : « وطلبة العلم تلاميذ شيخهم » . اه

وإهمال داله لغة فيه ، قال أمية بن أبي الصلت في القصيدة الدالية التي تقدم إنشاد بيتين منها :

قضى وأصعد واستبدّ إقامةً بأول قرّى فيتّل ومُتلمَدُ

قال شارحه : « يريد متلمَذ ، أي خادم من التلاميذ . وتُلميذ جُعل للخدمة . ويروى متلمِد بكسر الميم . وأراد بأول قرى الملائكة الذين يحملون العرش . وقوله : قضى يعني الله عزّ وجل . واستبدّ ، يعني لا يستشير أحداً . يقال استبدّ فلان برأيه إذا لم يستعن أحداً على ما يريد . والمبتّل المفرد » . انتهى .

ويؤخذ منه أن تاءه أصلية . ووزن تلميذ فِعْليل ، وأن له فعلاً متصرفاً هو تلمذه كدحرجه ، بمعنى خدمه ، يتلمذه كيدحرجه ، تلمذة وتلماذا ، كدَحْرَجةً ودَحْراجاً ، فهو متلمذ كمُتدَحْرِج بمعنى خادم ، وذاك متلمَذ أي جعل خادماً [2] . وإطلاق التلميذ على المتعلم صنعة أو قراءة ، لأنه في الغالب يخدم أستاذه .

وقول الناس : « تلمَّذ له » و « تلمَّذ منه » بتشديد الميم ، خطأ ، لأنهم توهموا أن الياء زائدة ، وليس كذلك ، وصوابه « تلمَذ له » و « تلمذ منه [3] » بالذال المعجمة .

ولمَّظه أي أطعمه وأذاقه . والتلمظ : تتبع اللسان بقية الطعام في الفم . وقد يكنى به عن الأكل ، استعير للتعليم شيئاً فشيئاً .

والتلميذ يجمع على تلاميذ ، فإن فِعْليلاً يجمع على فَعَالِيل ، كبرطيل وبراطيل ، وعفريت وعفاريت ، وقنديل وقناديل ، وإصليت وإصاليت ، وإبريق وأباريق ، ومنشديل ومناديل .

---

(١) هذا سهو من البغدادي ، فإن الشريشي في هذا الموضع لم يقل إلا : « تلميذ : متعلم الصنعة » انظر الشريشي (١ : ٢٩ س ١) وأما الكلام الذي نقله البغدادي بعد فهو تعليق على قول ابن الحريري : « فالتفت إلى تلميذه وقلت عزمت عليك بمن تستدعيه الإذعان لتخبرني من ذا » انظر الشريشي (١ : ٣٠) .

(٢) الأولى من تلمذه بمعنى خدمه ، والأخيرة من تلمذه أي جعله خادماً .

(٣) هذه فتوى لغوية للبغدادي ولم يستعمل هذا التعبير ، ولا أظنه سائغاً .

وأما قولهم في جمعه « تلامذة » فعلى توهم أنه اسم أعجمي [١] ، فإن الهاء في الجمع تكون في أحد ثلاثة مواضع : (أحدها) الاسم الأعجمي المعرب ، سواء كانت للتعويض عن مدّه [٢] نحو أستاذ وأساتذة ، أم لا نحو موزج وموازجة وكيلجه وكيالجة . (ثانيها) للتعويض عن ياء النسب في المفرد ، نحو أشعثي وأشاعثة ، ومهلبي ومهالبة ، وأدرقي وأزارقة (ثالثها) للتعويض [إما] عن ألف خامسة جوازاً نحو حنطي وحبائطة ، وعفرني وعفارنة وإما عن [عين] [٣] مضاعفة نحو جبار وجبابرة . وفي غير هذه المواضع الثلاثة قليل نادر كفحولة وحجارة .

قيل [٤] : وقد يرخم التلاميذ في الشعر على تلام ، كقول الطرماح :

تشقى الشمس بمدريّةٍ كالخاليج بأيدي التلام

والخاليج : منافخ الصاغة الطوال ، واحدها خلوج ، شبه قرن البقرة الوحشية بها .

قال الجواليقي في المعرّبات [٥] : « التلام أعجمي [٦] معرب ، قيل هم الصاغة ، وقيل غلمان الصاغة ، وقيل هم التلاميذ » وأنشد هذا البيت .

وأنشد ابن بري في حاشية الصحاح قول فيلان بن سلمة الثقفي [٧] أيضاً :

ومرمال مضاعفة دلاص قد أحرز نسجها صُنعُ التلام

وروى : « التلام » في البيتين بفتح التاء وكسرها . أما الفتح فعلى أنه صيغ التلاميذ ضرورة . وقد اقتصر عليه صاحب الصحاح ، وقال : « التلام التلاميذ سقطت منه الذال » .

وصاحب الصحاح تابع في هذا لأبي علي ، قال في المسائل العسكرية [٨] : « ومن قبيح الضرورة قول الشاعر :

مثل الخاليج بأيدي التلام

قالوا : يريد التلامذة ، فحذف . وقد أعلمتك أن ذلك لا يكون على الترخيم فيما تقدم . إلاّ أنه قد جاء من هذا النحو ما لا يكون في الترخيم كقوله [٩] :

دَرَسَ المَنَا بمتالع فأبانِ

---

(١) كأن البغدادي يذهب إلى أنه عربي (٢) ا ، حـ : « مدة » (٣) كتبت كذا « عين » في ا ، حـ لكن جعل فوقها خطأ علامة على الخطأ . وإثباتها عين الصواب كما في ب .

(٤) ا ، حـ : « قيل » وذلك على أنها متصلة بكلمة « معاورة » ، لوجه ما أثبت من ب كما يفهم من البيان . (٥) المعرب للجواليقي طبع دار الكتب ص ٩١ (٦) ا ، حـ : « قيل معرب » وكلمة « قيل » ناقصة (٧) شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . ترجمته في الإصابة ٦٩١٨ والأغاني (١٢ : ٤٣ — ٤٤) (٨) المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي الذي توفي سنة ٣٧٧ نقل عنه البغدادي نصوصاً فيما يأتي من مواضع شتى من الخزانة . انظر ١ : ٩٠ ، ٩١ ؛ ٢ : ٦٢ ، ٢٧٥ ؛ ٤ : ٥٢٢ ، ٥٢٣ ؛ ٣ : ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٧ ، ٧٣ ؛ ٥٨٢ : ٥٨٣ . ا ، حـ : « مسائل العسكرية » تحريف .

(٩) هو لبيد بن ربيعة . والبيت مطلع قصيدة له في ديوانه ص ٦١ طبع فيينا سنة ١٨٨٠

قالوا : يريد : المنازل . ومثل ذلك ما أنشدوه لأبي دُواد [1] الإيادي :

فكأنما تُذكي سنابكها حُبَا [2]

قيل يريد الحباحب ، أي نار الحباحب . وفي التنزيل : فالموريات قدحاً » انتهى كلامه

وأما الكسر فعلى أنه جمع « تلم » بكسر فسكون ، بمعنى الغلام . قال ابن مكرم [3] : فمن [4] رواه : التلامي ، بفتح التاء وإثبات الياء ، أراد التلاميذ ، يعني تلاميذ الصاغة . هكذا رواه أبو عمرو ، وقال : حذف الذال من آخرها [5] ومن رواه : التلام ، بكسر التاء ، فإن أبا سعيد قال : التلم الغلام . قال : وكل غلام تلم ، تليداً كان أو غير تليد . والجميع [6] التلام . وقال ابن الأعرابي : التلام الصاغة ، والتلام الأكرة » . انتهى

وأقول : « الصاغة » تصحيف من الصناع [7] لوقوعه في صحبه الحاليج : ويدفعه البيت الثاني [8] .

وقال صاحب القاموس : « التلم ، بالكسر : الغلام ، والأكّار ، والصائغ أو منفخهُ ، الطويل [9] . والجمع تلام . وكسحاب : التلاميذ ، حذفت ذاله . ولم يذكر الجوهري غيرها ، وليس من هذه المادة [و] إنما هو من باب الذال » . انتهى

أقول : أما قوله : « الأكار والصائغ » فقد أخذه من قول ابن الأعرابي ، على أن الصاغة والأكرة بالتحريك جمع صائغ وأكّار .

وأما قوله : « أو منفخه [10] » فقد أخذه من قول بعضهم ، وقد غلط فيه .

نقل الأزهري عن الليث أن بعضهم قال : التلام الحاليج التي ينفخ بها . قال : وهذا باطل [11]

والعجب من صاحب القاموس ، أنه اعترض على صاحب الصحاح في ذكره التلام في باب الميم ، مع أنه أثبته مثله ، ولم يذكره في باب الذال .

عبد السلام محمد هارون

---

(١) [، حـ : « أبو دؤاد » بالهمز (٢) روي البيت في اللسان (١١ : ٢٨٨) هكذا :

يغدون جندل طائر جنوبها فكأنما تذكي سنابكها الحبا

(٣) في لسان العرب مادة (تلم) (٤) في الأصل : « ومن » وسواب النص من اللسان .

(٥) أسقط البغدادي هنا قول ابن منظور : « كقول الآخر :

لها أشاوير من لحم تمرره من الثعالي ووخز من أرانيها

زاد من الذال » ومن أرانيها » وهذا البيت لابن كامل البشكري كما في اللسان (٥ : ١٦١) (١٦١ في الأصل : « والجمع » وأثبت ما في اللسان .

(٧) حـ فقط : « في الصنع » (٨) ينظر إلى بيت غيلان بن سلمة . [، حـ « في » بكان : « وبدفعه » شرقه (٩) [، حـ « والصائغ » بالنون و « منفخة الطويل » سوابها ما أثبت من ب . (١٠) [، حـ : « أو منفخة » تحرف . (١١) في اللسان : « قال ابن منصور — وهو الأزهري — قال الليث : إن بعضهم قال : التلام الحاليج التي ينفخ بها . قال : وهذا باطل ما قاله أحد » .